جامعة الانبار

كلية التربية للبنات

اسم المادة باللغة العربية: الادب الاندلسي

المحاضرة السابعة

ابن زيدون

المستوى الدراسي الثالث

الفصل الأول

استاذ المادة

أ.م.د. سلام عبد فياض الحسن

ابن زيدون

اسمه:

ابن زيدون هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزوميّ الأندلسيّ، وهو من أبرز شعراء الأندلس.

ولادته ونشأته:

وُلد ابن زيدون في خريف سنة ٣٩٤هـ (١٠٠٣م) في حيّ من أحياء قرطبة المتراصّة، وتمتدّ جذوره العربية الأصيلة إلى قبيلة بني مخزوم التي كان لها شأن كبير ومكانة عظيمة في الجاهليّة والإسلام، وقد جاء أجداده من المغرب، كما كان بيت بني زيدون من أكبر بيوت قبيلة مخزوم عزاً وجاهاً وثقافةً وأدباً، وكانت عائلتاه من جهة أبيه ومن جهة أمه تعتبران من أبرز عائلات الأندلس، وأيضًا كان أبوه رجلاً ثرياً ومن وجهاء الأندلس ومن أهل العلم والمعرفة باللغة والآداب، كما كان فقيهاً وقاضٍ له شأن كبيُر وصاحب رأي مسموع، فقد كان قاضي القضاة آنذاك أحمد بن محمد بن ذكوان يشاوره ويراجعه في فتاويه وأحكامه، كما كان موضع ثقة لغيره من القضاة، و يقال إنّ (أبا بكر) وهي كنيته قد توفي بالبيرة بالقرب من غرناطة، حيث كان ذاهباً إلى هناك لتفقد أملاكه ودُفن فيها.

براعته ولقبه:

كان ابن زيدون من أبرع وأقدر شعراء العصر الذي عاشوا فيه، لذا أُطلق عليه لقب بحتريّ المغرب تشبيهاً له بالشاعر البحتريّ؛ وذلك لتميّزه في موهبته وتميز شعره بالسهولة والعذوبة، فقد قال المقرّي مادحاً له: (من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف.

بيئة ابن زيدون:

الحياة السياسيّة: عاصر ابن زيدون الاضطرابات التي حدثت في الأندلس، وشهد تداعي الخلافة الأموية فيها التي امتد حكمها للأندلس منذ تأسس الحكم على يد عبد الرحمن الداخل ، وبعده توالى على الحكم عدد من الأمراء، فبلغت الدولة الأموية أوج عزها وعظمتها في فترة حكم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الذي لُقّب بالناصر لدين الله وهو أول من سُمي بأمير المؤمنين، وانتهى حكم الأمويين في الأندلس ليبدأ بعده حكم ملوك الطوائف، وعلى الرغم من حدوث بعض الاضطرابات في تلك الفترة إلا أنّ الأندلس شهدت فيها نشاطاً وازدهاراً في الحركة الفكريّة والأدبيّة فانتشرت المكتبات، واهتم الأندلسيون بكتب المشارقة من ناحية الدراسة والمعارضة.

مميزات شعر ابن زيدون:

كان ابن زيدون يتناول المعاني المتداولة عند القدماء، مثل صفات الكرم والشجاعة والتقوى وجميع المعاني المعروفة عند شعراء المشرق، كما يمتاز شعره بالمبالغة في اللفظ والمعنى مقلداً في ذلك القدامى، ويمتاز شعره بشكل عام بالمبالغة بهدف التأثير في السامع لتحريك مشاعره، كما يظهر في شعره تأثره بالقديم بالرغم من أنّه عاش في بيئة تختلف عن تلك التي عاش فيها المشارقة، وقد سُمي ابن زيدون كما قلنا ببحتري المغرب لسببين، أولهما طول النفس، فقد جاءت قصائده في المدح والغزل طويلةً، وثانيهما كثرة الزخارف الشعرية والصور البيانية والمحسّنات البديعية، فجاء شعره شبيهاً بشعر البحتري، ورغم تأثر ابن زيدون بالمشارقة إلا أنّه ظلّ محتفظاً بشخصيته المميزة في شعره واهتمامه بإبراز ذاته في أعماله الشعرية.

الأغراض الشعريّة:

كان لابن زيدون في حياته ثلاث تجارب أثرت في تنوّع شعره بشكل عميق، والتي عُدّت مصدراً لإلهام ابن زيدون في كلّ المواضيع التي عبّر عنها:

أما التجربة الأولى فقد تمثلت بهيامه لولاّدة بنت المستكفي ومن الشواهد على ذلك قصيدة (أضحى التنائي) وهي من أشهر البكائيات في الشعر العربي، وهي التي جعلته أشهر شعراء الغزل في عصره، وفيها يذوب أساً وألماً على فراق ولادة وحبل الوصال الذي قُطع بينه وبينها، وقد استهلها بقوله:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا إليكم ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

أن الزمان الذي ما زال يضحكنا ... أنساً بقربكم قد عاد يبكينا

غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا

وله ايضا:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً ... والأفق طلقٌ ووجه الروض قد راقا

ولنسيم إعتلالٌ في أصائله ... كأنما رقّ لي فأعتل إشفاقا

والنهر عن مائه الفضيّ مبتسمٌ ... كما حللتَ عن اللبات أطواقا

يومٌ كأيام لذاتٍ لنا إنصرمت ... بتنا لها حين نام الدهر سرَّاقا

نلهو بما يستميل العين من زَهر ... جال الندى فيه حتى مال أعناقا

كأن أعينه إذ عاينت أرقى ... بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

وردٌ تألق في ضاحي متابته ... فازداد منه الضحى في العين إشراقا

لا سكَّن اله قلباً عن ذكركم ... فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

الآن أحمد ما كنا لعهدكمُ ... سلوتُم وبقينا نحن عشاقا

وأما الثانية فقد حدثت عند سجنه في عهد أبي الحزم بن جهور، إذ نتجت من معاناته في السجن العديد من الأبيات الشعرية التي كانت تتمحور حول العتاب والاستعطاف.

أما التجربة الثالثة فقد حصلت معه حين كان قريبًا من الحكام بصفته وزيراً وسفيراً في الدولة، فمكانة ابن زيدون تلك جعلته ينظم أشعار المديح لأولي الأمر، والهجاء لأعدائه، كما اعتُبرت مصدراً لإخوانياته ومداعباته، ولما كتبه من قصائد الوصف، وفيما يأتي شرح للأغراض الشعرية لابن المديح: أبدع ابن زيدون في قصائد المدح التي وجهها إلى ابن جهور وابن عباد وغيرهم من الملوك والأمراء، كقوله: ونهجك سبل الرُّشدِ في قمع منْ غوى وعدْلك في استئصال مَن جار واعتدى الإخوانيات: إنّ قصائد الإخوانيات عند ابن زيدون متنوعة المواضيع، فمنها ما هو عتاب ومنها ما هو اعتذار، أو طلب استشفاع أو شكر، ومنها ما هو دعابة.

وفاة ابن زيدون:

بعد أن هرب ابن زيدون من السجن اتصل بوالي إشبيلية المعتضد، فعاش في كنفه، وولاه وزارة وفوض إليه شؤون مملكته، وظل في بلاطه في إشبيلية معززاً مكرماً حتى توفي المعتضد وتولى ابنه المعتمد على الله الحكم، فظل إلى جانبه ومات في أيام حكمه في صدر رجب سنة ثلاث وستين وأربعمئة بمدينة إشبيلية

ودفن بها، وقال ابن بشكوال إنّه توفي سنة خمس وأربع مائة، وكانت وفاته بالبيرة وسيق إلى قرطبة ودُفن بها رحمه الله.

المصادر والمراجع:

- **الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ تأليف د: منجد مصطفى بهجت، العراق.**
- **في الشعر الاندلسي ، د. عدنان صالح مصطفى ، دار الثقافة الدوحة،ط١، ١٩٨٧.**
- **ملامح الشعر الاندلسي، د. عمر الدقاق، دار الشرق بيروت.**